

سعدى يوسف

ديوان السونيت



شعر

الأعمال الكاملة - 2



ديوانُ السُّونَيت

المؤلف: سعدي يوسف
الكتاب: ديوانُ السُّونَيت (شعر) - الأعمال الكاملة 2

- صدرت النسخة الرقمية: حزيران/ يونيو 2025
- الطبعة الأولى 2018، دار التكوين، دمشق - سوريا

- الناشر: «ألف ياء AlfYaa»
- الموقع الإلكتروني: www.alfyaa.net
- جميع حقوق توزيع النسخة الرقمية بكل التنسيقات (PDF، ePub و/أو أي تنسيق رقمي آخر محفوظة لـ«ألف ياء AlfYaa»
- جميع الحقوق الفكرية محفوظة للمؤلف
- يعبرُ محتوى الكتاب عن آراء مؤلفه.
- «ألف ياء AlfYaa» ناشرة للكتاب فقط وهي غير مسؤولة عن محتوى الكتاب



-
- تصميم الغلاف والإخراج: طالب الداود

الأعمال الكاملة 2

سعدى يوسف
ديوانُ السُّونَيت
شعر

ثبت القصائد

7	 اللُّعْبُ مع السَّوْنَيْتِ
11	 سونيت على الطويل
13	 سونيت على الخفيف
15	 سونيت على المتقارب
17	 سونيت دجلة
19	 فُرَات
21	 بعد حين
23	 ثلاث سونيتات إلى هيروشيما العراق
27	 تأمُّلٌ
29	 ضوءٌ في الغابة
31	 حالة مستعصية
33	 خمرٌ سوداء
35	 في شتاء القرية
37	 فَخَّارٌ
39	 لِتَكُنْ شوكة!
41	 سيّدي بلعباس
43	 محجوب العيّاري
45	 حسين قهوجي
47	 أبو نواس 1
49	 أبو نواس 2
51	 أبو نواس 3
53	 حُسين داي 1964 Cite' Universitaire
55	 كاتدرائية مَعْنِيَّة
57	 الطّاهر وطّار
59	 تِلْمُسان
61	 نادين غورديمِر Nadine Gordimer
63	 بيت جَدِّي
65	 إحْتِكام
67	 عند القناة

69	طائرُ الرّزّياب
71	يوتوبيا
73	بين ليلي ودجلة
75	حضر موت
77	"جَنَبِيَّةُ" القُضاة
79	شاطئ رامبو Rimbaud Beach
81	المُجَنِّح
83	سونيث إلى أبي العلاء
85	الصِّل
87	سونيث تورنتو
89	بُحيرة أونتاريو
91	بوذا التّبت
93	الحَيّ الصينيّ في تورنتو China Town in Toronto
95	لَينين في زيورخ 1
97	لَينين في زيورخ 2
99	لَينين في زيورخ 3
101	باب سُليمان
103	نابوليون في برلين
105	نصيحةُ أبو إياد (صلاح خُلف)
107	ربيع تورنتو
109	السُونيث الخمسون

اللعبُ مع السُّونَيت

سعدي يوسف

هكذا أتممتُ نِعمتي على نفسي!
امتحانُ ذاتٍ صعبٍ، في زمنٍ متساهلٍ حتى مع أهله.
أقولُ هذا، بعدَ كتابتي خمسين قصيدةً عدًّا، على هيأة
السونيت، الشكلِ غيرِ المتوافرِ، في تفصيله الدقيق،
عربيًّا.
كنتُ في ما فعلتُ أتحدّى نفسي، ومقدّرتي.
السونيتُ، قالْباً، قديمٌ.

كتبه بثرارك 1304 - 1374، وهو شاعر عصر
النهضة، على البحر الإيامبي الخماسي lambic

Pentameter، ثمّ جاء شكسبير ليكتبَ بين الأعوام
1593 و1596، السونيتات الشهيرة، الأثيرة، وكانت
مائة وأربعاً وخمسينَ عدّاً.

شكسبير، فجَرَ السونيتَ العتيقَ.

شكسبير، وضعَ على السونيت، ميسمه، هو.

هنا، الأبياتُ الإثنا عشر، متميزة. وهنالك الدوبييت، في
النهاية. الكوبليت The couplet يعلن الصيحة.

* * *

Sonnet 17

Who will believe my verse in time to come?

If it were filled with your most high deserts?

Though yet, heaven knows, it is but as a tomb

Which hides your life, and shows not half your parts?

* * *

If I could write the beauty of your eyes

And in fresh numbers number all your graces،

The age to come would say this poet lies؛

Such heavenly touches ne'er touched earthly faces.

* * *

So should my papers, yellowed with their age
Be scorned, like old men of less truth than tongue
And your true rights be termed a poet's rage
And stretched meter of an antique song.

* * *

But were some child of yours alive that time
You should live twice: in it, and in my rhyme.

* * *

بين الحادي والعشرين من شباط (فبراير) 2018
والخامس عشر من نيسان (أبريل) العام نفسه، بين لندن
العاصمة الإمبراطورية، وتورنتو الكندية... كتبتُ
السونيتات الخمسين.

* * *

لِمَ كتبتُ ما كتبتُ؟
ليس من سبب...
لكنها محنة التجريب.
لقد ضاق الثوب، وأخْلَقَ.
واستُقدِّمَ ما لا يليقُ.
واستُبْعِدَ ما استُبْعِدَ: الموشَّح مثلاً،

والقصيدة المدورة التي هي التجلي العربي الأصيل
لقصيدة النثر.

* * *

لا أريد لأحد أن يأخذ ما فعلت مأخذ الدعوة. لكني
أقولها، صريحة:
لقد حاولت أن أروض نمرأ ...

تورنتو 16.04.2018

سونيت على الطويل

أجيء إلى هذي البحيرة كلما
فزعت من النفس العسيّة، والجار
كأنني أداري جنّة أو جهنّما.
لألقي على ماء البحيرة أطماري

* * *

لماذا أرى في الماء لونَ البنفسج
وفي قمم البلوط نوراً من الماء؟
أهذا الذي قد كنتُ، في الحُلُم أرتجي
أم ارتفعتُ، كالراية الورد، أسمائي؟

* * *

أقول: لقد خَبَّتْ بِي الخيلُ، في المدى
ولم تَتْرُكْ بحراً بعيداً، و لا أرضاً...
تباركت، يا سعدي، وبُوركتْ مُهتَدِي
لَكَ الحقُّ، كُلُّ الحقِّ، يا شَهْمُ، أن ترضى
* * *

سلامٌ على الغصنِ الذي ليسَ يوصَفُ
وألفُ سلامٍ للندى، وهو رَفَرَفُ...

لندن 21.02.2018

سونيت على الخفيف

في الصباح الرصاص، فتحت بابي
واسعاً، ثم سرت نحو الحديقة
كان في الدّوح ملمس من ضباب
كيف لي أن أرى المرايا الصديقة؟

* * *

لم يكن في السماء غيم، ولكن
كان في النفس غيبٌ مُدْلَهُمُ
هل يعودُ الندى؟ ألسْتُ أراهن
أم تراني انكفأت أن أهْمُ؟

* * *

هل سيأتي خَشْفٌ وراءَ السياجِ
أم ستأتي ثعالِبُ الدَّغْلِ فجراً؟
كلّما كِدْتُ في صَلَاتي أناجي
طائرَ النارِ، أَلَمَحُ الطيرَ فرّاً...

* * *

كيف لي أن أَلَمَّ ما يتبدّد؟
كيف لي أن أرى الصراطَ الممهّد؟

لندن 24.02.2018

سونيت على المتقارب

كأني أَرَفِرْفُ... تلك الطيورُ
تجيءُ من الدَّغْلِ، أَمَنَةً عند بابي
أتسألني الطيرُ، في هدأتي، أن أطيِرُ
فأحملَ زوَادتي، فُصْعَةً، للغيابِ؟

* * *

سماءُ رصاصُ، ونورٌ شفيف
يلوْحُ من النهرِ، آنَ الغروب
أهذا هو النخلُ؟ أهو الحفيف
سيحملُني نحو يومٍ قريب؟

* * *

تقولين لي: هل تظُلُّ الحكايةُ
كما هي؟ هل سبَّتَ الناسُ دهرًا؟
هل الكونُ أظلمَ، حتى النهاية؟
أليس به مَنْ يحاولُ أمرا؟

* * *

إلى النهر، حيثُ المراكبُ تسري
للفتُ العباءة،
قلتُ: أدبِرْ أمري!

لندن 24.02.2018

سونيث دجلة

نزلنا بوايد بين ليلي ودجلة
فلم ندر أيّ الجنّتين نزور
كانّ بليلي من شمائل دجلة
تقلّب حال، فالأمور تدور

* * *

لقد كان لي في شطّ دجلة مربّع
وعُشْبٌ على تلك الضفافِ نضير
ولكنني، إن شئت، عودٌ مُضيّع
تسيرُ به الغلواءُ حيثُ تسيرُ...

* * *

لماذا أرى الأشجارَ حولي كالدمى
وتلك المماشي الخضرَ جرداءَ بُلُقعا؟
هل اللونُ لا يأتيك إلا إذا انتمى
وتلك الأغاني... لن تدورَ فتُسَمعا
* * *

سلامٌ على أرضٍ تناهَبها البلى
سلامٌ على ماءٍ سَلَوْتُ كما سَلا

لندن 24.02.2018

فُرات

هذه الجمعة أفلغتُ إلى نهر الفرات
فاختفى عن مَلَمسي زانُ الشمال
ليس ما نَحْمَلُهُ لون النبات
إنه المعنى الذي نخشى عليه من زوال

* * *

كلّما جاءَ إلى ليلي، الفرات
نَزَّ ماءً منه، عَذْبٌ، في المَخْدَّة
أَيكونُ الماءُ أصلاً للحياة؟
رُبّما ... هاأنذا أَقْطِفُ وردةً

* * *

لم أزل أسمعُ في " الرِّقَّةِ " سحباتِ الرِّبابِ
وأغاني النسوةِ اللائي يُخَوِّضْنَ قليلا
في مياهِ السمَكِ الفضةِ، والطَّيرِ السَّرابِ
لم أزل أُلْمَسُ معنىً مستحيلا

* * *

فلتكنْ، يا نهرَ أجدادي، رفيقي
ولتكنْ دربي إن غامَ طريقي!

لندن 24.02.2018

بعد حين

بعدَ حينٍ، أمضي ؛ إلى أينَ أمضي؟
إن هذا الصباحَ يسألُ مثلي...
رُبَّما ضِقتُ بالسؤالِ المُمِضِّ
أو كأني أضعتُ، كالطفلٍ، أهلي.

* * *

ساحةُ الحومةِ اختفتُ في الضبابِ
وتوارى السنجابُ والطيرُ عني...
أثراني أرعى سهوبَ السرابِ
أم أرى في البعيدِ عودَ المُعَنِّي؟

* * *

فَلْيَكُنْ مَا يَكُونُ: إِنَّ حَيَاتِي
بِيَدَيْ، وَهِيَ مَا صَحِبْتُ طَوِيلًا
لَمْ أَفَكِّرْ لِلْحِظَةِ، بِمَمَاتٍ...
هَكَذَا لَنْ يَكُونَ يَوْمِي ثَقِيلًا

* * *

فَلْتَدَوِّمْ حَوْلِي التَّهَالِيلُ: أَهْلًا
وَلْنُقُلْ لِلنَّهَارِ: أَهْلًا وَسَهْلًا!

لندن 25.02.2018

ثلاث سونيتات إلى هيروشيما العراق

(1)

تدخلُ المَوْصِلُ الآنَ بينَ السطورِ
تدخلُ المَوْصِلُ الآنَ بينَ السطورِ العميقةِ
لن تَرِفَ الطيورُ
بعدَ أن هَجَرَتْهَا الحديقةُ.

* * *

الروافضُ من مَنقِعٍ في الجنوبِ
ومن كلِّ أكوأخه الطينِ جاؤوا

يَهْدِمُونَ الْمَنَارَةَ قَبْلَ الْغُرُوبِ
مُطِيعِينَ مَا يَأْمُرُ الْغُرَبَاءُ.

* * *

غَيْرَ أَنَّ الْبُيُوتَ هُنَا مِنْ حَجَرٍ
وَالرَّوَافِصُ لَا يَعْرِفُونَ
أَنَّ مَنْ يَتَحَدَّى الْحَجَرَ
سَوْفَ يُلْقَى الْجَنُونَ.

* * *

فَلْتَكُنْ لَكَ، أُمُّ الرِّبِيعَيْنِ، آيَةٌ
أَنْتِ نَعْمَى الْبَدَايَةِ.

(2)

كُنْتُ، قَبْلَ سَنَيْنَ، أَطَوَّفُ فِي الْجَامِعَةِ
كَانَ عِنْدِي رَفِيقٌ صَبَا
عَمَرُ الطَّالِبُ: الْبِسْمَةُ الرَّائِعَةُ
عَمَرُ الطَّالِبُ، السَّفْحُ أَخْضَرُ، وَ الْمَرْتَبَى

* * *

"كانت تحوم R.A.F طائراتُ يقالُ هي الـ"
وكانت تراقبُ ما يفعلُ النملُ والسالكون
وكانت سماؤك، أمَّ الربيعين، ليستُ بذاتِ غيوم
كانَ السماءَ مُوطَّاةً، كي نهون.

* * *

كيف أنسى الحَجَرُ
كيف أنسى المنارة، حيثُ المنارُ العتيقُ
حيثُ كانت مُطَوَّقةً تحتُمي بالشجرُ
حيثُ غنى المُغَنِّي الأنيق...ُ

* * *

لك، يا مَوصلُ، الأغنيةُ
لك ما يَصِلُ الموتُ بالأمنيةُ

(3)

كيف يَحْدُثُ هذا؟
كيف يَحْدُثُ أن تُمسَحَ الموصلُ العربيَّةُ مسحاً؟
كيف يَحْدُثُ هذا؟

هل بأيدي وحوش سماوية غزت الأرض صُبْحاً؟

* * *

للّواتي يَمُتْنَ وأطفالهنّ
للّذين يموتون تحت الرُّكام
للمؤدِّين لا يَطْمئنّ...
للصنوبر... مني السلام

* * *

هل سنمضي بعيداً، وأبعد؟
هل سندخلُ في مَهْمَه العَرَبِ البائدة؟
هل سنقِصِفُ بيتَ محمّد
كي نبرّرَ أن نذبحَ الوالدة؟

* * *

سوف يمضي العراقُ سعيداً
سوف يمضي العراقُ، سعيداً، إلى حتفِهِ
سوف يمضي العراقُ...

لندن 17.08.2017

تأمل

أرى الصفصاف في شمسِ الغروبِ
يُحييني، أرقّ من الصباحِ
هل الأشياءُ تنزغُ في المَغيِبِ
غلائلها، مُخَضَّبَةُ الجِراحِ؟

* * *

أرى ماءَ البُحيرةِ من بعيدِ
يرفرفُ بالزوارقِ والغصونِ
فيا امرأتي: ثقي بغدٍ سعيدِ
ولا تَمْضِي مع الثوبِ الحزينِ

* * *

نثِيرُ الثَّلْجَ يَحْمِلُهُ النِّسِيمُ
إِلَى أَلْوَحِ نَافِذَتِي، فَأَرْنُو
إِلَى الْأَشْجَارِ تَهْدَأُ إِذْ تَغِيْمُ
أَتَسْتَبِقُ الرَّبِيعَ؟ هُنَاكَ غُصْنُ!

* * *

سَتَأْتِينِي السَّنَاجِبُ وَالطُّيُورُ
وَتَتَّبَعُ مَوَكِبِي أَنِّي أَسِيرُ...

لندن 26.02.2018

ضوءٌ في الغابة

أتأتي رياحٌ من الشرق فجراً
لنُلقِي بأسمالنا في المياه؟
أم الرملُ يغدو لنا مستقراً
وأُغْنِيَةً، بين آهٍ وآهٍ...

* * *

لقد جنَحَ المَرْكَبُ القَصِيَّ
وفَرَ إلى الدَّغْلِ بَحَارُهُ...
أيأتي لنا زورقٌ عسْكَريُّ
يقولُ لنا: نحنُ نختارُهُ!

* * *

من الغاب، لَوَّحَ ضَوْءٌ غَرِيبٌ
هل الضوءُ من حاطبٍ في الظلام؟
وهل قَدَرِي أن أرى في المَغِيبِ
وأن أرتجي الضوءَ حتى أنام؟

* * *

سلامٌ على مَنْ يَضُمُّ الجفونَ
ليحرسَ، كالكنز، ما لا يَهُونُ

لندن 27.02.2018

حالة مستعصية

لستُ مَنْ يرتدي في بهيم الظلام
بُرْئِساءَ كانَ أخلَقَهُ الآخرونَ...
إنني ملء نفسي، سعيداً، أنام
كي أُفتَحَ في الفجرِ بيتَ الجنونِ

* * *

يهطلُ الثلجُ كالْمِلْحِ: أغلقتُ داري
ثم فتحتُ ما صننتُ عندي
حينَ وسَّعتُ في ثغرةٍ بالجدارِ
واصطفَيْتُ من الروحِ لونَ الفِرْنَدِ

* * *

دوحةُ الكستناءِ القريبةُ تنأى
ثمّ تبدو، على لوحةٍ من رُجاجٍ، قريبةً
هل يغيمُ على العينِ مَرَأى
أَمْ هي النفسُ، لائبةٌ، كالغريبةِ؟
* * *

إنه الثلجُ يهمني كثيفا ...
آه، يا نَجْدُ، هل ستكونُ المَصِيفَا؟

لندن 28.02.2018

خمرة سوداء

يروق لي السّواد، وأنت فيه
مُلاّءة، مُصَفِّة الدّنان
كأنّي اليومَ أبحثُ عن شبيهه
لتأخذني إلى سردابِ حان

* * *

لماذا لا أرى في اللونِ إلّا
بَهَاءَكَ في العشيّة والصباح؟
كأنّي صرْتُ بين يديكَ ظلاً:
ألمُ عباءتي، وأعبُ راحي

* * *

يليقُ بكِ السَّوَادُ، وأنتِ فيه
مرايا فضّةٍ، ورذاذُ شمسٍ...
دعيني، الآنَ، أبحثُ عن نبيهِ
ليأخذني إلى سردابِ نفسي

* * *

وهاأنذا أرَدُّ مستعادا:
أمنَ ليسَ السَّوَادَ سبى العبادا؟

لندن 01.03.2018

في شتاء القرية

نحنُ نمضي إلى الغابةِ العاريةِ
كي نصيّدَ بها أرنباً أو يمامةً
ثمّ نأوي إلى غرفةٍ عاليةٍ
كي نُبرّيء أنفسنا بالندامةِ

* * *

أمس، أبصرتُ ظبيّاً، وراءَ السياجِ
كان بين الهشيمِ الشتائيِّ يخطو
وأنا كنتُ كَتَمْتُ أيَّ اختلاجِ
كي أرى الظبيَّ في دفتري، وهو خطُّ!

* * *

ستكون السماء التي نتأملها، دانية
آن نبحث في روحنا، عن سماء
هكذا سنرى القاع في آنية
فرغت بعد أن نالها الأدياء.

* * *

هطل الثلج حتى تمادى، كثيفا
كيف لي أن أواصل دربي، خفيفا؟

لندن 02.03.2018

فَخَّارٌ

كانت لديّ غَضَارَةٌ قَوْرَاءُ مِنْ فَخَّارٍ
أَقْتَنَاهَا، يَوْمِيَّةً، تِيَّاهَةً، مَمْلُوءَةً بِحِسَائِي
تِلْكَ الْغَضَارَةُ رَافَقَتْ، فِي صَمْتِهَا، أَسْفَارِي
صُبْحِي بِهَا، مَتَوَرِّدٌ، وَظَهِيرَتِي، وَمَسَائِي

* * *

وِغَضَارَةُ الْفَخَّارِ، مِثْلِي، تَرْتَدِي
لُونًا وَحِيدًا، ثَابِتًا، وَعَمِيقًا
حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ خُطُوطٌ فِي يَدَيَّ
رَاجِعَتْ حَاقَّتَهَا مَدًى وَطَرِيقًا

* * *

إني أتيهُ بها: لَدَيَّ غَضَارَةٌ
وَحِساؤُها زادي، وزادُ بِلادي
لي من شمائلِها الحِسانِ نِضارَةٌ
ولها الصلادةُ من يدي، وعنادي
* * *

لَيْتَ الحِياةَ غُضارَةً وَسِفارُ
لَيْتَ الحِياةَ غُضارَةً وَسِفارُ!

لندن 03.03.2018

لِتَكُنْ شَوْكَةً!

لَا تَظُنِّيَنَّ أَنَّ النُّعُومَةَ أَجْدَى
مَلَمَسًا، عِنْدَمَا يَطُولُ الطَّرِيقُ ...
ثُمَّ حَدُّ أَنْ يَلْمُسَ الْمَرْءُ حَدًّا
لِيرَى أَنَّ أَفْقَهُ قَدْ يَضِيقُ

* * *

إِنَّ شَوْكَ الصُّبَيْرِ يَبْدُو عَسِيرًا
خَطِرًا، يَجْرُحُ الْأَنَامَ عَشْرًا
لَا تَخَفْ، وَاتَّبِعْ ... تَجِدْهُ نَضِيرًا
فَلْتَكُنْ مِثْلَ مَنْ يِرَاوِدُ سِرًّا!

* * *

كلُّ بيتي رَوْضٌ من الشَّوكِ رائِقُ
كنتُ أنبِئُهُ، فأمرَعُ نبتاً
لمَسُّ الشَّوكِ ناعمٌ إذْ أَعانِقُ
بين أرجوحةِ المِلاءَةِ، نبتاً!

* * *

ليس فخراً أن تُحسِنَ القولَ دوماً
فلتكنْ شوكةً لتدفعَ دَماً...

لندن 03.03.2018

سَيِّدِي بُلْعَبَّاس

سَيِّدِي بُلْعَبَّاس، كَانَتْ وَطَنِي
عِنْدَمَا طَوَّحَ بِي رَمْلُ الْعِرَاقِ
كَأْسُهَا عَنَقُوذُهَا إِذْ يَنْحَنِي
وَالْحَقُولُ الطَّيِّبُ، وَاللَّيْلُ اعْتَنَقَ

* * *

قَلْعَةُ الرُّومَانِ فِي تَلْعَتِهَا
تَحْرُسُ الْوَادِي، وَتَسْمُو فِي السَّمَاءِ
وَكَأَنَّ الطَّيْرَ مِنْ هَيْبَتِهَا
فَقَدَّ الرِّيشَ خَفِيفاً وَالْغَنَاءَ

* * *

سَيِّدِي بُلْعَبَّاسْ، ظَلَّتْ مَوْطَنِي
وَحْنِينِي الْمُحَضَّ كَالْأَنْدُلُسِ...
يَا زَمَانَ الْوَصْلِ، دَعْنِي أَغْتَنِي
بِالنَّبِيذِ الْوَرْدِ، دَعْنِي أَحْتَسِي!

* * *

سَيِّدِي بُلْعَبَّاسْ، يَا أَبْهَى وَلِي:
لَكَ مَا تَرْجُو، وَمَا أَرْجُوهُ، لِي!

لندن 04.03.2018

محبوب الغيّاري

رحل في آذار (مارس) 2010

يسير محبوبٌ، كالراعي، له غنمٌ
في " نابل " بين أحلاسٍ ونِسوانٍ
كان محبوبٌ في أعماقه أُممٌ
غريقةٌ بين أعرابٍ ورومان...
* * *

قد كان محبوبٌ فذّاً: مقتدىً وندىً
ما بين مكتبةِ الديوانِ والحانةِ
وشاطيءِ الصيفِ مفتوحٌ له، أبداً
كان " نابل " قد أهدته بُستانه
* * *

أمضي إلى " النُّزْلِ " وحدي. كان يتركني
في بابه، ثم يمضي حيث لا أدري...
يقولُ لي: دَعَاكَ! إني عَارِفٌ سَكَنِي
حتى ولو كنتُ ممسوساً من السُّكْرِ!

* * *

لم آتِ " نَابِلَ "، حُزْناً، بَعْدَ مُحْجُوبِ
وإنْ يَكُنْ سَاكِناً فِي جَنَّةِ الطَّيِّبِ...

لندن 05.03.2018

حسين قهوجي

كان في مدخل القبروان الجميلة
كعبةً، فوق أستارها
كُتِبَتْ بالحرير قصائدنا المستحيلة
كي تفيض بأنهارها.

* * *

منبر ابن نصير، كما كان، منذ ارتقاه
والمصاحف، والأعمدة
كلُّ تاج بها ضارعٌ لليلة
والقبور هلالية، شمسها مفردة

* * *

ههنا كان يمضي حُسَيْنُ
إلى جامع القيروان، لينثرَ أزهارَهُ
ههنا غابَ عَنَّا حُسَيْنُ
بعدَ أنْ غيَّبَ الليلُ أشعارَهُ

* * *

السلامُ على مَنْ رأى
والسلامُ على مَنْ توهَّجَ في المُنتأى!

لندن 06.03.2018

أبو نواس 1

بضفیرتین وراءَ ظَهرِکَ، أو بأُغنیتی، تنوسانِ
بمَـسـاحِبٍ مِنْ جَرِّ عَالَمِنا القمیءِ، على الثرى
أَلِیْتُ أَنْ أَلْقالَکَ، حتى لو کرهْتُ، كما کرهْتُ، أنا، مکانی
لم نأتِ، عن خطإٍ، زُرارةً، نحنُ أصدَقُ مَنْ یرى.

* * *

أَیْکُونُ فی فُطْرُبُلٍ، أو "هَیْتَ"، لو أَسْرَفْتُ، مأوانا؟
غدرتُ بنا الأیامُ، یا صِنوِی، فصرنا فی المنافی
ما عاد، حتى الله، یذکرنا، زماناً أو مکانا
لکننا سننزلُ نحْفِرُ، مثل ضفدعةِ الضِّفافِ

* * *

بضفیرتین، وراءَ ظَهرِکَ، یا فتی،
بالقِرْطِ فی الیُسْرِ، وبالأَسْمالِ، أمْضِ
سأْظُلُّ، مثْلَکَ، صائِحاً أو صامِتا
سأْظُلُّ فی الصَّهْدِ المُمِضِّ...
* * *

زَیْنُ الشَّبابِ أبو نُواسِ
زَیْنُ العَذابِ أبو نُواسِ...

لندن 07.03.2018

أبو نُوَاس 2

"مَعْقِلِي نَهْرُ مَعْقِلٍ" ... أَنْتَ أَدْرِي
يَا رَفِيقِي، ابْنَ هَانِيٍّ، بِالضَّوَا حِي
أَنْتَ فِي الْبَصْرَةِ الَّتِي نَلْتَنُزُّ رَا
مِنْ عُذُوقٍ بِهَا، وَمَسْحَبٍ رَا حِ

* * *

بَيْنَ نُعْمَى "أَبِي الْخَصِيبِ" وَبَيْنِي
أَلْفُ بَحْرِ، وَمُرْتَبَى، وَمَفَازَةٌ...
إِنَّهُ الْبُعْدُ: أَبْعَدَ الشَّرِّ عَنِي
مِثْلَ خُبْزٍ ضَاقَتْ بِهِ الْخَبَازَةُ

* * *

"معقلي نهرٌ معقلٍ" ... جَفَّ ماءٌ
وارتمتْ نخلَةٌ، وهَدَّتْ جُسُورُ
يا نُواسِيُّ، ضاقَ حتّى الفضاءُ
نحنُ خُذِرُونا ... فكيفَ ندورُ؟

* * *

هطلَ الثلجُ، في الضواحي، رقيقاً
سوفَ أطوي ذاكَ الكتابَ العتيقاً!

لندن 17.03.2018

أبو نواس 3

بغدادُ، لم يدخلُ بها، المأمونُ، والأجنادُ، بَعْدُ
قُتِلَ الأَمِينُ، وأنتَ في دارِ ابنِ نوبختَ، الأَسِيرُ
أظننتَ أنَّ الدارَ، أعني دارَ إسماعيلَ، مَنجاةٌ ووَعْدُ؟
لم يَبْقَ للصعلوكِ مُلتجأً، وليس له مُجِيرُ

* * *

لن تبْلَغَ السِّتَيْنِ. هُم خَتَمُوا حَيَاتَكَ واستراحوا
مثل امرئ القيسِ القَتِيلِ بِحُلَّةِ الديباجِ مسموما
لن تبْلَغَ السِّتَيْنِ! لن تُجِدِي صلاتَكَ والفلاحُ
هذا ابنُ نوبختَ: اصطفَيْتَ السُّمَّ، مختوما!

* * *

لهفي عليك، على حرير صغيرتين، وضغث ریحان
بغدادُ يدخلُها، ليقْلِبَ وجهها، المأمونُ والفُرسُ
لهفي عليك، أبا نُواسٍ، أيُّها المتوجِّدُ العاني:
أظننتَها كأساً؟ أمِنَ نوبختَ تؤخذُ هذه الكأسُ؟

* * *

سأظُلُّ، يا ابنَ مدينتي، في مأمِنِ المنفى
لأقولَ شيئاً لن يقالَ، وألْغِزَ الحرفا...

لندن 17.03.2018

حُسين داي 1964

Cite' Universitaire

كنتُ عندَ " حُسين داي " في غرفةٍ عاريةٍ
كان ذلك، آنَ أتيتُ الجزائرَ
هارباً من بنادق، لم أدرك ما هي...
في عراقٍ، بلا مُدنٍ، أو ضمائرٍ.

* * *

في "حسين داي" كانت عيونُ الصباح
تتفتَحُ: كان الحليبُ
ساخناً في الشوارع، في العرباتِ، وكان الصباح
ناعماً، مثل خدِّ الحبيبِ

* * *

هل أَصَلِّي، صلاةَ المُسافرِ، كي أستعيدَ
أَرْجاً للحديقة...

هل، عليّ، هنا، أن أُعيدَ
كلَّ يومٍ هنالك؟ كلَّ دقيقة؟

* * *

للجزائر، تلك التي آمَنْتني، سلامٌ
للنبيد الذي يتخترُّ في الكأس،
أو يتبخرُّ في طبقاتِ الكلام.

09.03.2018

كاثدرائية مَغْنِيَّة

(بالغرب الجزائري)

كاثدرائية " مَغْنِيَّة "، لا تعرفُ ما تفعلُ
فهي، الآن، المسجدُ...
لكنّ الكاثدرائية لا تعملُ
بالقانون: تظلُّ (كما كانت) لا تسجدُ!

* * *

في "مَغْنِيَّة " كان فرنسيّون
كانوا الأقدام السُّود ...
كانوا مثل ضِباع الدَّغْلِ يصلولون
حتى ارتفعت راياتُ الثورة، والتَّأَمَّ الأخدودُ

* * *

لكنَّ بـ " مَغْنِيَّة " كاتدرائيَّتُهُم، تتعالى
والكاتدرائيَّةُ لا تعرفُ كيف تُصَلِّي
حتى لو علَّقتَ بها نجماً وهلالاً ...
هي مُشْرِكَةٌ، مثلي!

* * *

في أعوامِ مُقامي السبعةِ في "سِيدِي بِلُعبَّاس"
كنتُ أرى الكاتدرائيَّةَ ليس كما كان يراها الناسُ!

لندن 09.03.2018

الطَّاهِر وَطَّار

أَجِيءُ إِلَيْهِ، فِي رَمَضَانَ، مُضْنَى
يَبِيسَ الْحَلْقِ مِنْ سَفَرٍ بَعِيدٍ...
فِيَفْتَحُ بَابَهُ، وَيَقُولُ: دَعْنَا
نَرَى رَمَضَانَ مُصْطَفَقَ الْبُنُودِ!

* * *

كَأَنَّ نَبِيذَهُ الْوَرْدِيِّ وَرَدُّ
وَتَلْجُ، أَنْ تَسْتَعْرِ الْنفُوسُ
أَقُولُ لَهُ: كَأَنَّكَ لَا تَرُدُّ
عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ عَيْنٌ تَجُوسُ...

* * *

ويهمسُ ضاحكاً، وطَّارُ: سعي!
أتعرفُ؟ نحنُ أدرى بالمعاني...
دع الغوغاءَ في أخْذٍ و رَدِّ
ودعنا سائرينَ مع الأغاني!

* * *

سلام الله، يا وطَّارُ، ألفا
وألفاً للنبيدِ، غنىً ووصفاً!

لندن 09.03.2018

تِلْمَسَان

الأتراكُ أقاموا في هَضَبَاتِ تِلْمَسَانَ طويلاً
لم يزدِ رِعوا شَبِيراً
من أرض الوادي تُفَاحاً ونخيلاً
لكنَّهُم عَصَرُوا خمرًا...

* * *

وتِلْمَسَانُ، معسكرُهم، نِسَوْتُهَا مَحْظِيَّاتُ
والغِلْمَانُ الشُّقْرُ لَهُم
كان معسكرُهم يفتَرِغُ الهَضَبَاتُ
ودروبُ تِلْمَسَانَ تَضِجُ بِهِم.

* * *

آنَ أسافرُ، من "سيدي بلعبّاس" إلى المغرب
تبدو لي هضبات تلمسان غريبة
سيدي بلعبّاس هي المنبسط المُثرب
لكنّ تلمسان لها وجه حبيبة!

* * *

لم أطل المَكثَ... فقد كنتُ المتعجّل دوما
سيكون مبيتي في "وَجْدَة"، حيثُ أَداعِبُ حُلما!

لندن 10.03.2018

نادين غوردمر Nadine Gordimer

في ليالي " مدينة الكاب " يعلو
هاجسٌ، أو تأملٌ، أو نذيرٌ...
غير أن الآذان سوف تظلُّ
تُرهِفُ السَّمْعَ: قد يجيءُ الزئيرُ!

* * *

هذه المرأة النحيلة تُمسي
في ليالي نيويورك مثل العُقابِ
تتقرّى في الصمتِ أعماقَ همسٍ
ثم تنأى، خفيفةً، في كتابِ

* * *

إِنَّ " نَادِينَ " وهي بيضاء، تغدو
بُنْتَ إفريقيا التي تتحدّى...
صوتها صوت قارّة تُستردُّ
والسواد العميق أورت مجداً.

* * *

إن " نَادِينَ " ترقد الآن، أصفى
من غدير يرفُّ نُعمى ولُطفاً...

لندن 12.03.2018

بيتُ جدِّي

كنتُ أمشي، طفلاً، إلى بيتِ جدِّي
حافياً، والترابُ في الصَّهْدِ جَمْرٌ...
صورةُ الجدِّ بين سِنْدٍ وهِنْدٍ
وأنا، الطفل، سائرٌ نحو جدِّي

* * *

أبلغُ السِّدْرَةَ التي الجُنُّ فيها
أُسْرِعُ الخطُوءَ... أسمعُ القلبَ يعوي
ثمَّ أمضي، لكي أظْلَّ النبيها
وأُسَلِّي جدِّي بما سوف أروي.

* * *

جَفَّ حُلُقِي، في الدرب، والماء نَزُرُ
والبيوتُ اختفتُ، و غامَ الطريقُ
أنا أمشي، مستوحداً، أستمُرُ
في سبيلي، كنائمٍ لا يُفِيقُ...

* * *

وأنا الآنَ، في الثمانين، عندي
حُلْمٌ أن أكونَ في بيتِ جدِّي!

لندن 12.03.2018

إِحْتِكَام

لم يكن لي سوى أنْ أُغَالِبَ هذا الظلام
أين تلك الوجوه التي كنتُ أعرفُ؟
أين الرحيقُ المُصَفَّى، وأين الكلامُ؟
أهوَ الروضُ أم أنه الصَّفْصَفُ؟

* * *

كُنْ، كما كنتُ أعهدُ، كُنْ، يا رفيقي، سعيدا
فالحياةُ، كما هي، والكونُ أبيضُ / أسودُ
هل توهمتُ أنكُ تبرأ كوناً جديداً؟
هبطَ الليلُ، والفجرُ، مثلي، ومثلَكَ، واهٍ، مُهدَّدُ

* * *

هل ترى ذلك المَرْكَبَ الْمُتَرْجِّحَ تحتَ سماءِ الخريف؟
هل تريدُ به منزلاً؟

ربّما كان خيراً لنا أن يكونَ "القطيفُ"
والقرامطةُ، المنتأى الأولَا...

* * *

سوف أنتظرُ الفجرَ، حتى النهايةُ
قد يطولُ انتظاري... ولكنني واثقٌ بالبداية!

لندن 13.03.2018

عند القناة

قد كنتُ جئتُ إلى القناة أُثرثرُ
وحدي، وأسألُ ماءها، وأسيرُ
كانت طيورُ الماء، مثلي، تعبُرُ
جذلي، وإن لم تَدْرِ كيف تطيرُ

* * *

أغصانُ صفصافٍ تُلَوِّحُ مرّةً
وتنأمُ أخرى، والسماءُ غيومُ
هل هذه الأغصانُ تنعمُ حرّةً
أم أنّ أوهامَ الحياةِ نعيمُ؟

* * *

دَعْ مَا لِقَيْصَرَ، عِنْدَ قَيْصَرَ، وَاعْتَمِدْ
نَزْراً يَسِيراً، تَلْقَ عَيْشَكَ رَائِقاً
لَا تُرْهِقَ الْخَطُوءَ الْمُبَكِّرَ، وَاتَّبِعْ
لِتَعِيشَ مَوْفُورَ الْكَرَامَةِ، سَامِقاً

* * *

وَعِداً، أَعُودُ إِلَى الْقَنَاةِ، لِأُقْتَدِيَ
بِالطَّيْرِ... وَالرَّيْشَ الْمَهْفُوفَ أُرْتَدِي!

لندن 14.03.2018

طائرُ الزَّريابِ

كلَّ يومٍ تَجِيءُ عِنْدِي الطَّيُورُ
تَلْقِطُ الحَبَّ، حُرَّةً، وتُعْغِي
في سمائي ليست تدورُ النسورُ
وفضائي، جَبْلُتُهُ، أنا، مِنِّي

* * *

إنَّ أَدَارَ زَهْرَةَ زَرْقَاءُ
ورِذَاذُ يَنْتُ وهو حَرِيرُ
هكذا الكونُ: أرضُهُ والسماءُ
جَنَّةٌ وَصَفُهَا النَّدَى والسُرُورُ

* * *

أَسْمَعْ الْآنَ، جَارَتِي، تَتَغَنَّى
بَعْدَ أَنْ مَرَّ طَائِرُ الزَّرِّيَابِ
أَنَا أَصْغِي، نَشْوَانَ، عَيْنًا وَأُذْنَا
وَأُمْنِي نَفْسِي بَغْصَنِ الشَّبَابِ

* * *

أَفْتَحُ الْبَابَ، فِي خُفُوتٍ، وَأَمْضِي
نَاعِمَ الْخَطُوبِ بَيْنَ رَوْضٍ وَرَوْضٍ

15.03.2018 لندن

يوتوبيا

ليس لي من شاغلٍ إلاّ الكتابُ
واكتمالَ الكوخِ بيتاً، والكتابةُ
هكذا أُحِجُّ، حيناً، كالغرابِ
أو أُغَنِّي، صادحاً، في فجرِ غابةٍ

* * *

ليس لي من عملٍ يذهبُ بي
مذهبَ المأجورِ من أجلِ الطعامِ
إنني أفعلُ فِعْلَ الثعلبِ
أُنْدِلُ الخبزَ، وأفتَضُّ المدامَ

* * *

أَنْتَ قَدْ تَسْأَلُ: هَلْ أُسْعِدُ فِي
خِيْمَةِ الصُّعْلُوْكِ، وَالدَّرْبِ الْمَدِيْدِ؟
لَا تَسَلْ: إِنَّ إِنْاءَ الْخَزَفِ
لَهُوَ أَقْوَى مِنْ مَوَاعِيْنِ الْحَدِيْدِ
* * *

كُنْ فَتًى، شَهْمًا، وَكُنْ حُرَّ الْمَدَى
لَيْسَ مَا تَزْرَعُهُ يَذْوِي، سُدَى...

لندن 16.03.2018

بين ليلي ودجلة

نزلنا بوادي بين ليلي ودجلة
فلم ندر أيّ الجنّتين نزور
كأنّ بليلي من شمائل دجلة
تقلّب حال، فالمياه تدور!

* * *

لقد كان في الوادي مزار ونعمة
وكان لنا فيه المهابة والفخر...
فكيف أتت ليلاً على النخل نعمة
وكيف غدونا والسّعال، بنا، عسر؟

* * *

لِمَنْ كُنْتُ أُسْرِي بَيْنَ خَبْتٍ وَمَهْمَةٍ
وَمَا كُنْتُ أَرْجُو مِنْ مُحَاوَرَةِ الْمَسْرُومِ؟
وَمَنْ ظَنَّ أَنِّي فِي الثَّمَانِينَ أَنْتَهِيَ
إِلَى السِّرِّ: لَا خَيْرًا أُرِيدُ وَلَا شَرًّا؟

* * *

لَكَ اللَّهُ، يَا أَطْلَالَ خَوْلَةٍ، فَاسْتَعِدِّي
بَعِيدًا، بَعِيدًا، عَنْ مُصَلِّيٍّ وَمَرْقَدٍ!

لندن 19.03.2018

حَضرَموت

لو لم يَكُنْ في حَضرَموت، مُكَلًّا، لَظَلَلْتُ كالأعمى
إني أَسِيرُ البحر، أَمْضِي بين مُضْطَرَبٍ وأمواج
أنا لستُ في الوادي الذي صارتْ خُرَافَةُ مائِهِ سُمًّا
سأبيتُ عِنْدَ شِبابَم، حيثُ الطينُ أبراجي...

* * *

لكنني سأعودُ: لي في حَضرَموت، ممالكُ
سوقِ النساءِ، وَمَنْشَفُ التَّبَغِ المُمَسَّكُ، والغِناءُ
أنا لن أقولَ بأنني في حُبِّ عِبلَةٍ هالِكُ
إنَّ المُكَلَّا بيتُ جَدِّي، والقوافِلُ، والجِداءُ

* * *

لم يَبْقَ للسلطان قَصْرٌ. صارَ مُرتَبَعٌ " الطَّلَائِعُ "
كانوا أَرْقَ ... كَأَنَّ قِشْرَ الخِيزُرَانِ قِوَامُهُمْ
لكنهم يمشون تحت الراية الحمراء، مثل بنات " يافِع "
يا مرحباً، هي حضرموت، سِباخُهُمْ، وشِباْمُهُمْ

* * *

مَنْ قال إن القومَ في عَدَنِ سَكَارَى؟
في حضرموت، اليوم، لن يأتي النصارى ...

لندن 20.03.2018

"جَنْبِيَّةُ" الْقُضَاةِ

لستُ أدري: تفضّلَ عبدُ العزيزِ المَقَالِخُ، يوماً عَلَيَّ،
بجَنْبِيَّةٍ لِلْقُضَاةِ!

هو يَعْلَمُ أَنِي ارتقيتُ "النَّقِيلُ"
لأبْلَغِ صنْعاءَ، من عدَنٍ ... هو يعرفُ أَنَّ الحُفَاةَ
أَسْرَعُ مَنْ يَبْلُغُ المستحيلَ.

* * *

ألهذا، سأحملُ جَنْبِيَّةَ اليمينِ، الدَّهْرَ، حتى أعودُ
إلى جبلٍ، فيه ألقى النُّسُورَ، التي هي حَمِيرُ، والوالدة؟
ألهذا تسَلَّلْتُ، عَبْرَ الحدودِ
لألقي السلامَ على الهَضْبَةِ الصامدة؟

* * *

هي، جَنَّبِيَّةٌ لِلْقُضَاةِ، وَلَكِنَّهَا، الْآنَ، جَنَّبِي
هي، عبد العزيز المقالح، صنعاء، واليمن الأول
هي ذَرَقُ النُصُورِ التي حَمَلَتْ إِمْرَأَ الْقَيْسِ وَالْمُتَنَبِّي
هي أَشْرَفُ مَا نَحْمَلُ!

* * *

فَلْأَقُلْ لِمَرَايِعِ حَجَّةٍ: أَنْتِ الْبَدَايَةُ
وَالْبَدَايَةُ لَيْسَ لَهَا مِنْ نَهَايَةٍ!

لندن 20.03.2018

شاطئ رامبو Rimbaud Beach

لا يَبْعُدُ "شاطئ رامبو" إِلَّا مِيلًا عَنْ "خرطوم الفيل"
حيث تعوم دلافينٌ ضاحكةٌ، وتحوم نساءٌ روسياتُ
حيثُ سبيلُ "الجولد مور"، وحيثُ "البيرة" كالماء تسيلُ
حيثُ البحّارةُ غرقى بين الحورياتُ

* * *

قد كنتُ هناك، أراقبُ في السِّرِّ، فناراً أعمى
وأتابعُ كيفَ تميلُ، مع الموجةِ، أعشابُ البحرِ
كانت "عَدَنُ" تحملُ، في جبهتها، نجماً
وتجاهدُ، كي ترفعَ عن صدرِ العربِ المقهورينَ، الصّخرَ

* * *

هل "شاطئ رامبو" ما زال هناك، مديدا
يتلألأ في الشمس الغاربة الحمراء؟
مثل فنار يتباهى، حُرّاً، وفريدا؟
هل تسبح في البحر الساجي، بضع نساء؟

* * *

ذهبت عدن، وذهبتنا...
فلنتساءل: هل كنا؟

21.03.2018 لندن

المُجَنِّح

أَكَادُ أَقُولُ إِنِّي عَشْتُ قَرْنَا
وَرُبَّتْ مَا إِلَى الْأَبَدِ الْأَبِيدِ
وَلَكِنِّي أَظِلُّ فَتَى مُعَنَّى
لَأَنِّي لَسْتُ فِي سِلْكِ الْعَبِيدِ

* * *

أَتَعْرِفُ؟ كَانَتْ الْأَشْجَارُ مِثْلِي
تَتَوَّءُ بِمَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيحُ
وَلَكِنِّي أُثَبِّتُ مِثْلَ ظِلِّي
خُطَايَ، وَسَوْفَ يُنْقِذْنِي الصَّبَاحُ

* * *

من الشُّبَّاكِ، تأتيَنِي الطَّيُورُ
تُكَلِّمُنِي ... فهل أنا، بَعْدُ، طَيْرٌ؟
ولكنْ سوفَ تهجرُنِي النُّسُورُ
فقد هَجِسَتْ بِأَنَّ الحُرَّ، حُرٌّ...

* * *

سلاماً، أيُّها الولدُ الطَّليقُ
سلاماً، أَنْ تَنعَقُدَ البُرُوقُ!

لندن 21.03.2018

سونيث إلى أبي العلاء

في طريقي إلى "حلب"، أتوقّف عند "المعرّة"
هكذا كنتُ أفعُل، أيّامَ كانت مُقامي، الشّامَ
كنتُ أشربُ شايًا، وأُلقي على تُربةِ الشيخِ نظرةً
فلعلّي أُلْمِسُ، من كسوةٍ للمعرّيّ، خيطَ السّلامِ

* * *

سوف أُلزِمُ ما ليسَ يُلزِمُ، مقتديًا، أو أبيّقا
ليس عند المعرّيّ إلّا السؤالُ
ولهذا يكون طريقُ المعرّيّ، عندي، الطريقًا
ألهدا اتّبعتُ المُحالَ؟

* * *

سوف أُلقي السلام، على الشيخ، في بيته، ثم أمضي
مُعْنَقاً، في طريقي إلى حلب، حيث "دارُ النقابات"
والبطَّةُ الضاحكةُ

سوف أقرأ، في الدرب، أَرْضِي
نافضاً عن قميصي تفاصيله الحالكةُ

* * *

"رُؤَيْدَكَ، قد غُرِزَتْ، وأنت حُرٌّ
بصاحبِ لَحْيَةٍ يَعِظُ النساءَ
يُحَرِّمُ فيكم الصَّهْبَاءَ صُبْحاً
ويشربُها، على عَمْدٍ، مساءً"
"من اللزوميَّات "

لندن 23.03.2018

الصِّلُّ

مسحتُ به، الأرضَ، في لحظةٍ، ثم طهرتُ بيتي
وهيأتُ لي، قهوةً بالحليبِ
وفكرتُ: من أيّ نبتِ
تمدّدَ لي ذلك الصِّلُّ، من أيّ عرقٍ عجيبٍ؟

* * *

وبالأمس، في " هامزِ سَمِثْ "، تناءيتُ في البارِ، وحدي
أراقبُ ما يفعلُ الناسُ والعابرونُ.
وفي بَغْتَةٍ، أَلْمَحُ الصِّلَّ عندي...
أ وَهْمُ زيارَتُهُ، أم جنونٌ؟

* * *

يقولُ لي الصِّلُّ: إني أُتابعُ ما تفعلُ
وقد تمسحُ الأرضَ بي، غيرَ أني في لحظةٍ، أنهضُ
وهاأنذا التابعُ الأوَّلُ
تعلمتُ مني ما تَبَغَضُ!

* * *

سأحفظُ للصِّلِ فضلَ الزيارةِ
ولكنَّ مَنْ عَرَفَ الصِّلَ، حَصَّنَ، بالسِّرِّ، دارَهُ...

لندن 24.03.2018

سونيت تورنتو

نأتُ عني البحيرةُ في ضَبَابِ
ورَفٍّ على كنيستنا الحَمَامِ
سأنهَلُ ما تَبَقَّى من شرابي
وهاأنذا: البُحيرةُ والسَّلامُ

* * *

أعودُ إلى الشوارعِ... لستُ أدري
إلامَ أحتُ خَطُوي إذُ أعودُ...
أثمتُ في الشوارعِ مَحْضُ سِرٍّ؟
وهل أسرُفْتُ فامَحَتِ الحدودُ؟..

* * *

لشّاذ المحلّة، والسّكارى
على باب الكنيسة، لِلْحَمَامِ
وللبُوذِيّ، والآتِيْنَ دارا
سلامً، مثل غمغمّة الغمامِ

* * *

أعودُ إِلَيْكَ، تورنتو، لأُحْيَا
وأَمْضِي، مُتَرَفَأً، طُلُقَ الْمُحَيَّا!

تورنتو 29.03.2018

بُحيرة أونتاريو

تبدو بُحيرة أونتاريو مُعلَّقةً
بين السَّماءِ ووجه الأرضِ كالسُّحُبِ
حتى الطيورُ بها ليست مُحلَّقةً
كأنَّها رَضِيَتْ بِالغَيْضَةِ الْقَصَبِ

* * *

أرى البحيرةَ قد فاضتْ سواحلُها
بين الفراتِ ونهرِ النيلِ تصطبُحُ
حتى لقد ضَجَّ بالصيحاتِ أَهْلُها
الرومُ والفُرسُ والأتراكُ والعَرَبُ!

* * *

أجيء، كلَّ ربيعٍ، شأنَ مُمْتَلٍ
من اللقالق، أبني المنزلَ الورقا
حنى إذا بلغَ البنيانُ مؤتملي
هجرتهُ لأرودَ المنتهى أُنفا!

* * *

لكِ السلامُ عميماً !Lake Ontario
لكِ السلامُ عميماً !Lake Ontario

تورنتو 30.03.2018

بوذا التبت

في دارٍ تَبْعُدُ أمتاراً
عن شاطيء أونتاريو الغائم
أعلى التبتيّون، بتورنتو، دارا
يتربّع فيها بوذا الباسم

* * *

سوف تدورُ هنا أجراسٌ وتدورُ
وتُلفُ تمائمٌ
بين صلاةٍ وبخورٍ
في الغسقِ الغائمِ

* * *

في الهضبة، حيثُ " لهاسا"
يتدربُ، في الفجرِ الفطّر، جنودُ صينيّونَ
لكنّ التبتيّينَ، بتورنتو، يقضونَ نُعاسا
بين دُخانِ القنّبِ، والذهبِ المجنونِ

* * *

سأعودُ إلى بوذا، في تلك الدارِ
سأعودُ لأسمع، في الصمتِ التبتيّ، الأشعارَ

تورنتو 01.04.2018

الحَيِّ الصينيِّ في تورنتو

China Town in Toronto

في الحيِّ الصينيِّ، بتورنتو، لا تُلْقَى الصينيين
في المقهى أو في الشارع
الصينيون نُزلاء دكاكين
يتفادون الوقت الضائع

* * *

لم أرَ صينيًّا يأخذُ في هيئةٍ غير المرتاع
حتى مَرُوحَةً من قشٍّ
الصينيُّ يبيعُ، و لا يبتاعُ
حتى بأقلِّ من القَرش!

* * *

لكنّ الصينيَّ إذا دخلَ المطعمَ
فكأنّ المطعمَ ألقاهُ ببرِّ الصينِ
هنا يفهمُ ما لا يفهمُ
ويكونُ بعيداً عن قومٍ، همُ، في الأصلِ، شياطينُ!

* * *

في هذا الزمن المجنون
يَحْسُنُ أن نفعَلَ ما يفعله الصينيون!

تورنتو 02.04.2018

لَيْنِينَ فِي زِيورِيخ 1

سَوْفَ أَمْضِي هَذَا الْمَسَاءَ، وَحِيدًا
أَنَا وَحْدِي لِأَنْنِي مَعَ نَفْسِي...
أَنَا لَمْ أُنْتَظِرْ صَدِيَّ أَوْ بَرِيدًا ؛
ذَهَبَ اللَّيْلُ بِالْأَسَى وَالتَّأْسِي

* * *

وَالْبِلَادُ الَّتِي انْتَأَتْ قَدْ تَعُودُ
فِي الْهَدْوِ الْقَاسِي، كَعُشْبِ الضِّفَافِ
رُبَّمَا أَفْسَحَ، السَّبِيلَ، الْجُنُودُ
وَالْقَطَارُ الَّذِي انْتَأَى قَدْ يُوَافِي

* * *

لَيْتَ بَرْلِينَ تَسْتَفِيقُ سَرِيعاً!

إِنَّ هَمَّ زِيُورِيخَ هَمٌّ مُقِيمٌ.

لِحِظَةِ الصِّفْرِ هَذِهِ لَنْ تَضِيعَا

أَهْ بَرْلِينَ: أَنْتِ أَنْتِ الصَّمِيمُ.

* * *

سَوْفَ يَأْتِي الْقِطَارُ. حَتْمًا سِيَأْتِي

فِي صَبَاحٍ مَهْلَهْلٍ مِثْلَ صَوْتِي!

تورنتو 04.04.2018

لَيْنِينَ فِي زِيورِيخ 2

لَيْتَنِي أَلْتَقِيَ، قَرِيباً، إِيْنَسَا...
لَيْتَنِي أَعْرِفُ السَّبِيلَ إِلَيْهَا!
إِنِّي فِي مَتَاهَتِي لَسْتُ أَنْسَى
كَيْفَ أَدْرَكْتُ رُؤْيِي فِي يَدَيْهَا.

* * *

مِنْ إِيْنَسَا عَرَفْتُ أَنَّ الْأَغَانِي
هِيَ بَعْضُ مِمَّا يَرِيدُ الْمُعَنَّى
هَكَذَا قَدْ تَكُونُ خَمْرُ الدِّنَانِ
مَخْضَ مَاءٍ قَدْ مَوَّهُهُ بِلَوْنِ

* * *

حزبُ برلين يرفعُ الحربَ رايةً
وأنا تائهٌ بوادي السلام...
أيُّ معنىٍ لوقفتي؟ أيُّ غايةٍ؟
يا إينسّا: لقد سئمتُ كلامي.

* * *

ليلتي هذه بغير نهايةٍ
يا إينسّا، أنتِ، أنتِ البداية؟

تورنتو 04.04.2018

لَينين في زيوريخ 3

الثورة قاطرة التاريخ كما حدثت ماركس
وأنا أقبع في زيوريخ
كأني أتعلم رقص الفالس
أو أزرع ورداً في المَرِيخ!

* * *

قالوا لي إن قطاراً ألمانياً سيكون هنا
عند محطة صاحبة ما ... عند محطتنا
بل زادوا أن الجاسوس الألماني سيأخذنا
حتى نبُلغ، تحت حراسته، الوطن.

* * *

ماذا أفعل، يا إينسّا؟ أنتِ معي
ستكونين...

هل أدخلُ بَطرسبرغَ، وهذا الألمانِيُّ معي
ملتَمِعُ العينينِ كَحَدِّ السَّكِينِ؟

* * *

لِيَكُنْ! إنْ محطةَ بَطرسبرغِ ستُصْنَحُ أَكْبَرُ
إنْ التاريخُ سيُشْرِقُ أَحْمَرًا!

تورنتو 04.04.2018

باب سُليمان

تقول: "باب سُليمان" هو الباب
أقول: لم تعد الدنيا، كما كُنَّا...
اليوم، حلّ بدارِ العِزِّ أغرابُ
ولم يَعُدْ للمُسَمَّى، عندنا، معنى!

* * *

قد كان "بابُ سُليمان" سفينتنا
إلى السماء، وكُنَّا نُنبِثُ الشُّهُبا
واليومَ نكتبُ في المنفى قصيدتنا
حتى نظلَّ نُسمَّى باسمنا، عربا!

* * *

"أبو الخصيب" لأهل الحق مُزدرِغٌ
وللقصائدِ بَذْرٌ، نُورُهُ الأملُ...
أقولُ: هل بادَ أجدادي وما صنعوا
أم أننا في خِباءِ العارِ نحتفلُ؟

* * *

هل للمُغَنِّينَ صوتٌ؟ هل دنا الأفقُ؟
أم أننا بِدُخانِ الدُّلِّ نختنقُ؟

تورنتو 09.04.2018

نابوليون في برلين

نابوليون الفاتحُ تحت العلمِ الثوريِّ، ثلاثيُّ الألوانُ
يدخلُ برلينَ ...

هِيغلُ قالَ: "رأيتُ التاريخَ على ظهرِ حصان!"

Weltgeist zu Pferde

لَكأنَّ الألمانِيَّ الباذخَ يحكي بلسانِ مجانيْنِ

* * *

إنْ أنتَ رأيتُ

فافتَحْ عَيْنِيكَ، طويلاً، واسِعَتَيْنِ

لا تتوهَّمْ أَنَّكَ أخطأتُ

فاللونُ الواضحُ لا تُخطِئُهُ العَيْنُ

* * *

والآن، نعود إلى هِيْغل في برلين
نعود إلى نابوليون المتقدِّم في جيش حُفاةٍ
والنجمَةُ وشَمُ جبينِ
هل فكَّرَ هِيْغلُ أن يجعلَنا شِبَهَ عُرَاةٍ؟

* * *

قد تبدو الفكرةُ، أحياناً، حمقاء
لكن الحمقى، أعني أمثال السيِّد هِيْغل، هم خيرُ الحُكَّماء!

تورنتو 10.04.2018

نصيحةُ أبو إِيَاد (صَلاح خَلَف)

إِنْ أَبْصَرْتَ بِكَفَّكَ فُنبلةً
فاقْذِفْهَا خَارِجَ بَيْتِكَ حَالاً
ما فِي كَفِّكَ لَيْسَتْ سُنْبلةً
فلماذا تَرْتَجِلُ الأَفْعَالا؟

* * *

قد كانت في " تونس " مدرسةٌ خائبةٌ، للثورة
كنا أغراراً، لا نعرفُ ما نفعلُ
أما الأعداءُ فقد كانوا حُرَّاسَ الحُجرةِ
ولهذا، كنا، شِبةَ رَهائِنَ، نُقْتَلُ، لا نَقْتُلُ.

* * *

أَتَكُونُ نَصِيحَتُهُ، مَقْتَلُهُ؟
في مكتبه السِّرِّيِّ تَخَبَّطَ بِالدَّمِ، مذهولا
لم يعرف أنَّهُ
في باب الحُجْرَةِ قَاتَلَهُ يمسحُ بالدم منديلا
* * *

إنَّ أبصرتَ بكفِّكَ قَنْبَلَةً فاقذفْها حتى في دارِكَ
لا تتردّد! إن العيشَ لديك معاركُ

تورنتو 11.04.2018

ربيع تورنتو

أسمعُ في الغرفة، مرتخياً، عرباتِ الشارعِ في الصباحِ
الكَنديّ الباردُ

من نافذتي، وقميصِ امرأتي، يأتيني العبقُّ...

لكني سأظلُّ أفكّرُ بالشجرِ الهامدِ:

أتظنُّ الحُصرةَ، هذي اللحظةَ، تنطلقُ؟

* * *

في تورنتو، تلقى الناسَ يسيرونُ

تحت الثلجِ المُساقِطِ، تحتَ المطرِ

لكأنَّ المعطفَ محضُ جنونِ

لا يعرفُهُ إلاَّ سُكَّانُ القمرِ!

* * *

أحياناً أمضي بالسيارة نحو بحيرة تورنتو فجراً
فأرى النسوة بين صبايا وعجائز يَعدون...
ما أعجبَ ذاكَ المَصرى
بل ما أعجبَ هذا الفجرَ المجنون!

* * *

كلَّ ربيعٍ، سوف أكونُ هنا
ليظلَّ ربيعُك، يا تورنتو، وطننا!

13.04.2018 تورنتو

السونيت الخمسون

أمرُّ على البحيرة كلَّ صُبحٍ
وأتملُّ من تنهُّدها مساء
أليس الماء والأنواء رَوْحي
وراحي، والمسافة، والكساء؟

* * *

أطلُّ على الحديقة: ليس فيها
سوى طيرٍ، يُسفُّ بها، وحيدٍ
فلا تأسفُ له، وكُن النبيها
ألستَ ترى الغزاةَ في البعيد؟

* * *

بِلادُ الله، يا ولدي، تضيقُ
وتخنقُها السلاسلُ والحدودُ
فلا تياسُ إذا ضاعَ الطريقُ
ألم يتلألْ النجمُ السعيدُ؟

* * *

سأُمضي ليلتي في بيتِ بوذا
أُكَلِّمُهُ، وأرتشفُ النبيذا...

تورنتو 16.04.2018